زنبقة الغور

لامين الريحاني

هذه الرواية هي آخر ما صدر عن قريحة كاتبنا الكبير الريحاني في اللغة العربية وقد كتبها بعد عودته من سوريا خصيصاً لمجلة الفنون · فنشرنا منها فصلين في اعداد السنه الاولى · والان اثرنا ان ننشرها من البداية لئلا يضيع منها شيء على المشتركين الجدد · والرواية طويلة غنية بالحوادث السورية والمشاهد المأخوذة من حياتنا مرسومة بقلم كاتب ماهر مخلص لا يأنف ان يقول الحقيقة ويشير الى مواضع الخلل ويداوي جروح عاداتنا ومعيشتنا · واقل ما يقال في هذه الرواية انها من افضل ما اصدره الفكر العربي في سني النهضة الادبية الاخيرة

اضطررنا لضيق الفسحة ان ننشر قسماً صغيراً منها في هذا العدد · ولكننا سنعوض القراء في الاعداد القادمة بنشر قسم كبير في كل جزء

—(الفصل الاول)—

« من غور الحياة ارفع اللهم صوتي · من وادي الاردن احمل اليك يا رب وزري · من اعماق الارض انظر ضارعاً الى جبال قدسك والى شمس رحمتك والى سماء حبك »

في الربيع الاول من هذا القرن توفيت في الناصرة امرأة اسمها ساره ولم يكن عند فراشها ساعة النزاع غير راهب من رهبان الدير الذي كانت ترعى مواشيه وفتاة لا تتجاوز الخامسة عشرة من سنها · ولقد كان

البؤس رعي ساره والشقاء موردها حيث سارت وحيث جلست وفي كل بيت خدمت فيه . على أنها لم تكن ممن يأكلون خبز المذلة ويخضون على الحيف والاذى . ولم تدخل الدير طفلاً فتخدم فيه فتاة لتتعود الرضوخ والاستسلام فتسوم نفسها طاعة الصغار وتتحمل دفعاً للجوع تفوق الاسياد والرؤساء . وليس اشد من بلية البائس غير بلية البائس العزيز النفس

جاءت ساره الناصرة من السامرية في الثالثة والعشرين من سنها ووقفت مكرهة في الابواب تقدم خدمة وتطلب عملاً . وكانت قبل ذلك تقيم ووالدها الارمل في قرية قرب جنين وتساعده في اشغاله وفي سهراته . فتقضي حاجات البيت كلها باتقان وعناية لا مزيد عليهما فتطبخ وتغسل وتستقبل الضيوف — وترعى في بعض الاحايين الجمال جمال ابيها . وقد يستغرب القارىء ذكرنا الضيوف في بيت الجمال . وقد يستغرب اشياء اخرى في هذه القصة . ولكن الحقيقة في غور الحياة وقد ابعدتنا عنها خارف التمدن امست غريبة بيننا . الفقر والبؤس والعار والشقاء تحجب عن الناس اليوم في معاهد الاحسان المتعددة التي شيدت لتربية الجهل واستخدامه لا لمناهضته واستئصاله . والمستقبح في هذه القصة هو ادنى الى الواقع من المستملح فيها — لا غبار من الخيال عليه ولا يد للتصور فيه .

قلنا ان ساره كانت تساعد ابيها حتى في سهراته . واليك البيان . فقد

حلقة عامرة من المكارين والمسافرين والفلاحين . بل كان بيته شبه ملعب وسم الدخول اليه شيء من التبغ او السكر او البن . وما اجملها حلقة في ليالي الشتاء في الليلة القراء وقد أضرمت النار في الموقد واشعل كل من الحضور « السبيل » ودارت ساره عليهم بالقهوة وبدأ والدها يتلو مقدمته الشهيرة اي « كان ما كان الخ » فيهتز من ضحك القوم عمود البيت وتبتسم لنكاتهم نار الموقد من خلال الدخان .

— يرغوث عَلَى صدرك يا ساره

— اجلسي قربي الله يحرسك لوالدك

— كردم ابو آدم حفر البحر ومن يحفر قبري الليله ؟ تسلم يا نور العيون !

— ما اطيب قهوتك يا ساره

— يا بنت امير العرب عاتي بصه .

— الليلة من ليالي العجوز اسمعوا الحواء يزمر

— والموقد يرد عليه .

— اسمع يا شيخ بدأت القصة

— نشكر الله عَلَى سلامة البرغوث

وما هذه الا شرارة من الموقد الذي كانت تضطرم ناره في ذاك البيت في وسط حلقة لسانها الجمال القصّاص وروحها ابنته ساقية القهوة . وكانت

ساره ذكية الفؤاد · فصيحة اللسان · عظيمة الحافظة · أخذت عن ابيها وفاقته في صناعته · فاذا كان في سفر ليلة ما تقوم مقامه فتضحك الحضور وتبكيهم وتهيجهم وترعبهم · بما تقص عليهم من الخرافات ومن حكايات الجان والعفاريت · وكان ابوها يعزها ويعجب بها كثيراً ويستصحبها في اكثر سفراته فتسير في القافلة الى القدس والكرك والشام وتفتن حيث تتطن وتضرب عند اللزوم ضربة يعجز دونها الرجال · فتاة ترمي بعينيها وترمي بساعدها · شديدة البأس ثابتة الجنان لا يتجهمها الليل ولا تستوقفها القفار وقد طالما اجتازت وادي اليرموك وحدها توصل السير بالسرى وهي تغني ادوار « العتابا والميجانا » بصوت جهوري رنان تردد الاودية صداه وتصغي اليه وحوش الفلاة · وما اشبهها بالشهيرات من نساء العرب اللواتي فقن الرجال فصاحة في المجالس وبأساً في ساحات الوغى

ولكن اليوم الاسود لم يمهل بومها · جاءها وهي صبية يسوق اليها من مثله الايام والسنين · جاءها يوم تزوج ابوها فكانت خالتها بليتها الكبرى · ولم تكن ساره لتطيق التحكم والتأمر · فوطنت النفس على ان تهجر البيت · وكان قد حدث لها حادث منذ اشهر فعجل عليها بالفرار · فخرجت من ابيها وهي حامل في شهرها الخامس لا تعرف ملجأ تلجأ اليه · فاقامت بضعة اسابيع في بعض القرى حول المرج ثم رحلت الى حيفا لتختفي هناك عارها · ولكنها ضلت الطريق فمشت شمالاً حتى وصلت الى شفا عمرو وهناك بين تلك النواويس خارج البلد جلست تستريح وكانت قد بدأت تشعر بانحلال

في جسمها وتقطع في اوصالها . فأوت مساء ذلك اليوم الى كهف من تلك الكهوف التي كانت قبوراً في قديم الزمان وعرفت لاول مرة في حياتها ما هو العذاب وما هو الخوف وما هو القنوط . ألا فان هذه أول تجاربها . حاولت ان تنام فحال دون ذلك ما اصابها من الالام التي أخذت تزداد حتى احست ساره انها دفنت حية في ذاك القبر — حية في قبرها تئن من الاوجاع . وصاحت نصف الليل صيحات لم يسمعها غير الله وولدت كما تلد البدويات وهن في الطريق راحلات . ولكنها ولدت طفلاً ميتاً . فكان غمها اشد من اوجاعها . وعند بزوغ الفجر لفت طفلها بالمنديل الذي كانت تحمل فيه زادها ودفنته في الناووس الذي ولد فيه وغطته باغصان من شجر الزيتون . واقامت واياه هنالك بضعة ايام تندبه وتندب حظها . وبعد ان نقهت قليلاً واحست من نفسها بشيء من القوة خرجت من ذاك اللحد والمهد لا تدري ما تصنع ولا ترى امامها طريقا تنشط خطواتها . أترجع الى قريتها وقد كرهت الاقامة فيها ؟ أتدخل شفا عمرو وهي لا تعرف احداً هناك ؟ اطرقت مفكرة حائرة يائسة فتذكرت ان احد ابناء بلدها الياس البلان يعلم في مدرسة ابتدائية في صفوريه . فصعدت في الجبل تقصد تلك البلد علها تحظى بلقائه فيفتح لها باباً للارتزاق . ولكنها لم تجده في صفوريه . وقيل لها انه نقل منذ سنتين الى الناصرة ودخل الدير .... هناك . الدير ! وقعت هذه الكلمة في قلب ساره كما يقع الندى في نخاريب الصخور

فيثيرها · فتحت لها باباً ظنته باب الخلاص فكان شركاً من اشراك القدر جديداً · ولعل القدر في بعض اطواره مثل البشر اذا وقعت الطريدة بين يديه لا يغلتها او يذبحها ·

جاءت ساره الناصرة وقد كدها الجوع والتعب فسارت توآ الى الدير الذي أهديت اليه فلقيت هناك ابن بلدها الاخ ايلياس البلان فتنفست الصعداء وشكرت ربها · واول ما فاهت به هاته الكلمات · دخيلك مت من الجوع والتعب · فتأهل الاخ ايلياس بها وطيب نفسها وادخلها غرفة قرب المطبخ وجاءها بخوانٍ عليه بضعة ارغفة من الخبز وقالب من الجبن وشيء من الزيتون وجفنة من الطعام · وبعد ان اكلت واستراحت سألها حاجتها · فقالت انها تريد ان تدخل الدير · فابتسم ابتسامة ثبطت من عزمها واخبرها ان رغبتها لا تتحقق الا بشروط قد يصعب عليها اتمامها · ثم قال · ادیرة الراهبات هنا كالشركات العقارية — هل عندك شيء من العقار توقفينه للدير — هل عندك مال تدفعينه رسم دخولك · هذه اهم من النذور الثلاثة · أتخدمين ؟ حسن · ولكن الواقفات في ابواب الاديرة يطلبن الخدمة كثيرات مثلك »

« ستأتي البقية »

هذا النوع من الصور الذي يدعوه الغربيون « كاريكاتور » او « كارتون » من الفنون التي لم يبلغ فيها حتى الان مصور عربي . ولذلك نضطر ان ننشر ما ننشر منها منقولاً عن اشهر المصورين المزليين في اوروبا واميركا . وعسى ان يأتي وقت نملأ به هذا الباب برسوم تنتجها مخيلة مصورين عربيين يسدون هذا الفراغ في ادابنا الفنية

« حمى الوطيس »

ملاك الموت يرقص فوق اشلاء القتلى

« الصيف » منقولة عن مجلة المانية

خيال الصيف — لا أرى احداً بالي الان بازهاري فهم كلهم مشغولون باعداد الدخائر والسلاح

« الوليمة الدموية » (منقولة عن جريدة روسية)

مارس — اله الحرب — يسقي ضيوفه كؤوساً من الدم ويقهقه استهزاءً بهم وقد تملوا جميعاً من ذلك الشراب . وهم توكيا (تحت الطاولة) وفرنسي جوزف (يقذف ما في جوفه) وفرديناند (ممسك برأس فرنسي جوزف) وغليوم (يرفض الكأس التي في يد مارس)

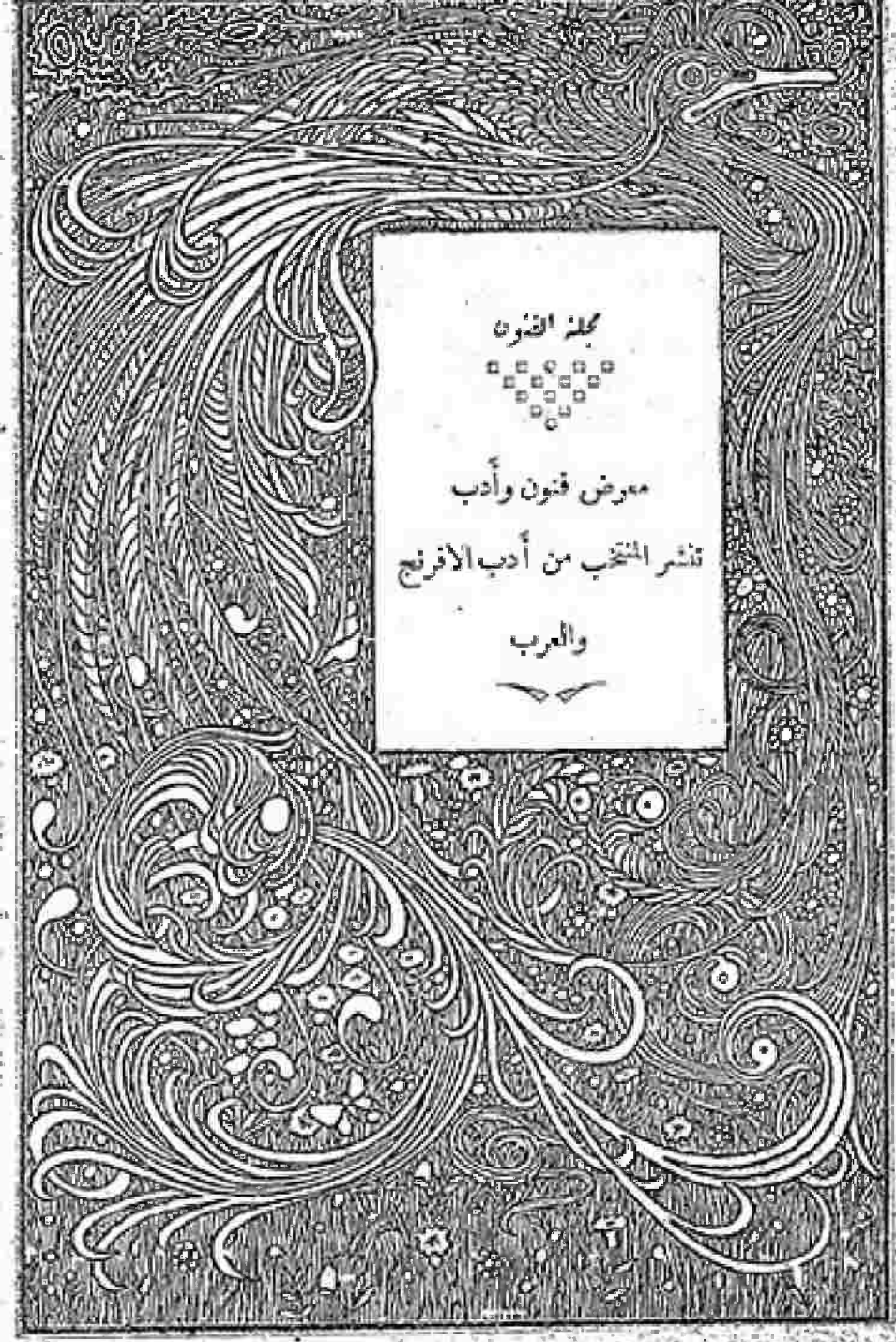
مجلة الفنون
معرض فنون وأدب
تنشر المنتخب من أدب الافرنج
والعرب

محتويات الجزء

الليل والمجنون	جبران خليل جبران	٩٧
النرجس		١٠٠
بذور للزارعين	لامين الريحاني	١٠٦
في الجحيم	لاناتول فرانس	١٠٩
قصص بابائية	للفكاديو هيرن تعريب عبد المسيح حداد	١١٨
رايات الدول		١٢٩
قصة ديك الجن الحمصي		١٣٢
صورة عمر بن الفارض	جبران خليل جبران	١٥٢
الفارض	جبران خليل جبران	١٥٣
الخلود والفناء «قصيدة»	لعطارد	١٥٦
اياضة الخمود «قصيدة»	لـ. أ.	١٥٨
دموع الامل «قصيدة»	لامين مشرق	١٦٠
حديث المجالس :		١٦٣

﴿ غنى انسان في العالم ـ فردون وتاريخها الدموي ـ بعض حروب انتهت بالولائم ـ العالم بعد الحرب ـ كشتر في نظر التاريخ ﴾

زنبقة الغور	ـ لامين الريحاني	١٧٤
صور فكاهية		١٨٩
فكاهات		١٩٠

الصور المطبوعة على حدة

نتيجة الحرب ـ السامري الشفوق ـ زنبقة الماء

تعبر تعبيراً صادقاً عن معنى اسمها . وهي فوق ذلك تصدر بمائة صفحة كبيرة »

﴿ وقالت جريدة الشعب الغراء ﴾

« ... صدر العدد الاول من سنتها الثانية ... وهو مشتمل على ما اعتدنا ان نراه في تلك المجلة من المقالات الرائقة والابحاث المفيدة لفريق من حملة الاقلام في هذه الديار . علاوة على ما فيها من الرسوم والرموز المتنوعة والمقاطع الشعرية الى آخر ما يدخل في باب المجلات ... فنحث الادباء على الاشتراك فيها اجتناء لفوائدها الكثيرة »

﴿ وقالت جريدة النائح الغراء ﴾

المجلة التي شعر بفقدها كل اديب عربي . المجلة التي كان يتمنى كل واحد ان تعود .

المجلة التي بيضت صفحات الادب العربي والتي اكبرت مقام اللغة العربية في عيون اللغات الاجنبية . قد عادت اليوم الى الظهور فسر لها الشعب السوري سرور امة اليهود ببناء هيكل ثانٍ لهيكل سليمان .

عادت الفنون يا عشاق الادب حاملة من الفنون العصرية اجملها ومن ورود الادب انضرها وازكاها ولقد تصفحنا عددها الاول لسنتها الثانية فرأيناه كما عهدناها روضة غناء يغرد فيها قلم الاخ الصديق نسيب عريضه باساليبه المعروفة وطول باعه وسعة اطلاعه . وقد وقف الاديب راغب متراج على ادارة شؤونها .

وللفنون نخبة من المساعدين في التحرير هم صفوة العلم ومن اكتب الكتبة المصريين المشهورين في العالم العربي

﴿ وقالت جريدة « فتاة بوسطن » الغراء ﴾

« تناولنا العدد الاول من سنتها الثانية وهو مدبج باقلام نخبة الكتاب السوريين في المهجر ويتضمن مقالات لجبران خليل جبران وسليم الخازن ومخائيل نعيمه وفيه رواية لامين الريحاني وثلاثة روايات صغيرة من الروايات الجميلة التي اعتادت الفنون ان تنشرها وفيه قصائد لجبران ورشيد ايوب ورمزي نظيم هذا عدا الفكاهات والقطع الصغيرة ·

وتمتاز الفنون بما تنشره من الصوَر الفنية والصور الرمزية الفكاهية »

﴿ وقالت مجلة الكلية الغراء ﴾

الفنون — اذا نظرت الى هيأة الفنون الخارجية رأيت ان صاحبها من ارباب الفنون ومع ذلك فلا مصور هو ولا موسيقي هو ولا نقاش هو ولا ممثل هو ولكنه ابن فن · هو الكاتب الاديب نسيب افندي عريضه صاحب مجلة الفنون مصور يصور حالة الاجتماع بصورته الحقيقية بريشة نحيفة مدادها نفس الكاتب السائلة · موسيقي يوقع الحان العمران الحاضر على اوتار الاخلاص والانتقاد وله في بعض الاحيان الحان متقطعة تصدر عن نفس متقطعة · نقاش حمل ازميل النحات ونظر الى مثال البشرية الحالية

عارضاً حالة الانسانية الحاضرة يخطب حيث الخطابة واجبة ويثن حيث الانين لازم ثم يصمت فينوب بسكوته عن فلسفة الكلام ·

وبالاجمال فمحور الفنون نسيب افندي عريضه ابن فن كما قلنا ومن فنونه اعادة اصدار مجلة الفنون التي صدرت لاول مرة مجدداً في شهر حزيران · اخذنا العدد الاول منها فلم ننتبه الى نظافة الطبع وجمال الرسوم وتنسيق المقالات اكثر مما نظرنا الى موضوع الكتابة وزبدة التحرير الذي خرج من ايدي اشهر الكتبة العربيين في المهجر الاميركي دائراً حول مواضيع عديدة كلها فنون · فهناك المقالات المصرية اكثر مباحثها في النفس والعواطف فيها الروءى اللطيفة والخيالات الظريفة والاماني الرقيقة والمعاني الرشيقة في المنظوم والمنثور مما جعل المجلة والحق يقال كما دعاها صاحبها معرض فنون وادب تنشر المنتخب من ادب الافرنج والعرب · ناهيك بالرسوم الجميلة منها ما هو مأخوذ عن اشهر الرسوم لاشهر الرسامين ومنها ما رسم خصيصاً للمجلة وهي رسوم تمثل للعين ما يمثله اليراع للنفس من حالة الاجتماع · اما المجلة فقد صدرت اليوم مدعومة بدعامة مالية تكفل لها الثبات وصاحباها نسيب افندي عريضه رئيس تحريرها وراغب افندي متراج مدير اعمالها قد اعدا العدد ليكفلا رضى القراء ووفرة عدد المشتركين ونحن واثقون انه لن يصل عدد من اعداد « الفنون » الجديدة ليد اديب حقيقي الا يتعشقه وينضم الى جيش مناصري هذه المجلة الزاهرة المفيدة ·

فنحث محبي الادب على الاقبال عليها ففيها ما يلذ من كل فن ·